Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعاناة والقدرة على التعبير عنها .

وكان شاعر القبيلة يصدر عن ذاتية جماعية فى هذه الفنون : فأوجع الهجاء ما صرف الذمّ عن المهجو فرداً إلى عشيرته كلها ؛ وأكثر الراحلين حظًّا من احتفال الراثين ، هم من كانوا للقبيلة سنداً وعماداً ، ومراثى الجاهلية لا تمل البكاء على حامى الحمى وملاذ العشيرة ومأوى الأرامل واليتامى . . ونملُّ نحن هذا الأسلوب ، غير ملتفتين إلى ذاتية الشاعر الجماعية التى جعلت من فجيعته الخاصة فجيعة عامة مشتركة ، يكابدها وتكابدها معه عشيرة فقدت سيداً .

وحين ننظر فى الغزل الجاهلى ، ولتكن نظرتنا عند موقف بعينه . هو الوقوف بأطلال دور الأحبة الذى كان دأب الشاعر العربى من قديم الدهور وغابر الأحقاب . نرى الشاعر منهم قد ينفرد بالوقوف على أماكن معينة : فيقف « امرؤ القيس » بسقط اللوى بين الدخول فحومل ، ويقف « طرفة » ببرقة ثهمد ، ويقف «زهير» بحومانة الدراج أو المتثلم أو الرقمتين ، ويقف « لبيد » بمنى أو مدافع الريان ، ويقف «الحارث بن حلزة» ببرقة شماء أو المحياة والصفاح . .

لكنهم على اختلاف الأماكن يعبرون عن موقف جماعى اقتضته طبيعة البيئة التى عاشوا فيها ، ويصدرون عن ذاتية متأثرة بوضع القبيلة فى حلها وترحالها ، خاضعة لاحتكام هذا الوضع فى مصير الحب ، فما كان لشاعر أن ينسلخ من قومه ليتبع حبيبة رحل أهلها ، وإنما كل ما يملكه هو أن يُتْبِعَها بصرَه ويرصد حركات التحمل السريع والارتحال المباغت ، حتى إذا غابت عن ناظريه تلفت القلب ، وانثنى الشاعر إلى الربع المهجور ، متشبثًا بمسرح ذكرياته متعلقًا بآثار الأحباب ، وقد بعدت الديار وشط المزار .

فالقيمة الهامة لهذه الظاهرة الأصيلة فى الشعر الجاهلى ولغيرها من فنون ذاتية خاصة ، لا تكون بتجريدها من طابع المجتمع وحصرها فى نطاق الذات الفردية ، بل فى أن تكون ذات دلالة جماعية مشتركة : فالشاعر هنا يبكى الديار لكل من كابد فزاق الأحبة ، ويتغنى بليلاه فيجد فيها المحبون سمات حبيباتهم وكلهن ليلى . والراثى يعبر عن مأساة عامة يتعرض لها كل حى ، ويستثير شجبه أشجان الجماعة . لكنا لم نلتفت إلى قيمة هذه الفنون الشعرية الخاصة من حيث هى معبرة عن